

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 1 - سورة الغاشية - تفسير الآيات 01 - 16

07-06-1998

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، في سورة الغاشية وَصَفَتْ لِأهل النار، وحال أهل الجنة، وَيَبَيِّنُ من حال هذين الوصفين أَنَّ البَشَرَ جميعاً سوف ينتهون إما إلى جنة وإما إلى نار، فَوَ الَّذِي نَفْسٌ مُّحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، قال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ (1) ﴾

[سورة الغاشية]

أحياناً يكون الإنسان يعيش ولَدَيْهِ نشاطات وتجارة، ولقاءات وزيارات وسَفَر وطُموحات وتأسيس مشاريع، لا سَمَحَ اللهُ بِأَتِيهِ مَرَضٌ عَضال يُنْسِيهِ كُلَّ شَيْءٍ، كُلُّ هَذَا يُلْعَى، فَإِذَا بِهِذِهِ الأُسْرَةَ يَتَعَشَّأُهَا هَمٌّ كبير، فَيَوْمَ القِيَامَةِ السَيِّدَةَ عَائِشَةَ سَأَلَتْ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: يُحَسِّرُ النَّاسَ حُفَاةَ عُرَاةٍ... " الآن لو ساقوه إلى الإعدام، ومن نافذة السيارة رأى امرأة سافرة وبأبشع صورة ؛ فَهَلْ يَشْتَهِيهَا ؟ هل يراها ؟ لا ينظر إليها إطلاقاً وكأنها لم تكن ! لذلك قال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ (1) ﴾

[سورة الغاشية]

يوم القيامة يومٍ آتٍ لا مَحَالَةَ، قال تعالى: يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ... " قال تعالى:

﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ حَاشِعَةٌ (2) ﴾

[سورة الغاشية]

ساكنة، أَوْضَحَ تَفْسِيرَ لِهَذِهِ الأَيَةِ أَنْظَرَ إِلَى صُورِ المُجْرِمِينَ حِينَما يُلْقَى القَبْضَ عَلَيْهِمُ وَهُمُ وَرَاءَ القُضْبَانِ.
قال تعالى:

﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) ﴾

[سورة الغاشية]

مُجْرِم، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آبِيَةٍ (5) ﴾

[سورة الغاشية]

فَإِذَا الْإِنْسَانُ سَكَبَ فِي صَخْنِهِ وَالطَّعَامُ حَارًّا، فَأَوَّلَ أَقْمَةٍ يَحْتَرِقُ لِسَانَهُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (6) ﴾

[سورة الغاشية]

شَوْكٍ، الْمَاءُ يَغْلِي وَالطَّعَامُ كَالشَّوْكِ لَا يُسْمِنُ وَلَا يَغْنِي مِنْ جُوعٍ، هَوْلَاءُ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) ﴾

[سورة الغاشية]

أَحْيَاءًا تَرَى إِنْسَانًا مُرْتَاحًا وَأَكْلَهُ جَيِّدًا، عَصِيرٌ وَبَيْتٌ مُكَيَّفٌ، وَلَيْسَ لَهُ مُشْكِلَةٌ ؛ تَرَى وَجْهَهُ مُتَأَلِّقًا، فَهَذَا مِثَالٌ مِنْ حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، فَكَيْفَ بِالْإِنْسَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ بِالْجَنَّةِ وَوَصَلَ إِلَيْهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) ﴾

[سورة الغاشية]

الْإِنْسَانُ أَحْيَاءًا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحْيَاءًا يَحْتَفِرُ نَفْسَهُ ؛ اِتَّصَلَ بِرَجُلٍ الْآنَ قَبْلَ سَاعَاتٍ، وَقَالَ لِي: اِرْتَكَبْتُ ذَنْبًا سَقَطْتُ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، وَأَنَا أَقُولُ لِإِخْوَانِنَا: وَاللَّهِ لَأَنْ يَسْقُطَ الْإِنْسَانُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَتَنْحَطِّمُ أَضْلَاعَهُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ ؛ لَمَّا يَكْذِبُ أَوْ يَسْرِقُ أَوْ يَبْتَرِّقُ أَمْوَالَ النَّاسِ، وَيُدَّيْسُ أَوْ يُعَدِّبُ النَّاسَ، فَالْبَطُولَةُ أَنْ تَرْضَى عَنْ نَفْسِكَ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ، وَأَنْتِ عَلَى نَفْسِكَ بِصِيرَةٍ وَلَوْ أَلْفَيْتِ الْمَعَادِيرَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْفَى مَعَادِيرَهُ (15) ﴾

[سورة القيامة]

واجد وجد سياره بنلد مجاور وغاليه جدا، وفنظر الى المفتاح فوجدته فيها، فشغلها ومشى، وما اننبه بعد حين ان وجد رضيعا فحنقه ورماه بالساقية ! صار معه حادث جعله اولاده اشلاء، وجاء المعزون وقالوا: والله امثالكم لا تستحقون مثل هذه المصائب، فقالت زوجته: لا، بل نستحق أكثر من هذا ! فالإنسان يعرف نفسه، وإذا كان ماشي بالحرام يعرفها، وإذا كان يؤدي الناس يعرف نفسه، وهذا أحدهم كان من طبعه الأذى فقال:

حُرٌّ وَمَذْهَبُ كُلِّ حِرٍّ مَذْهَبِي مَا كُنْتُ بِالْغَالِي وَلَا بِالْمُتَعَصِّبِ
يَأْبِي فُوَادِي أَنْ يَمِيلَ إِلَى الْأَذَى حُبُّ الْأَذِيَّةِ مِنْ طِبَاعِ الْعُقْرَبِ

هناك أشخاص كالعقرب، تجده يتلذذ بالأذى، يؤدي ولا ينتفع من هذا الأذى، فالفائدة أقل الفائدة أت تؤدي كي تنتفع إلا هناك من يؤدي ولا ينتفع من هذا الأذى، ثم أت البيت قائلاً

لِي أَنْ أَرَدْتُ مَسَاعَةً بِمَسَاعَةٍ لَوْ أَنَّي أَرْضَى بِبَرَقِ خُلْدٍ
حَسَبُ الْمَسِيءِ شُعُورَهُ وَمَقَالُهُ فِي سِرِّهِ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُذْنِبِ

فالإنسان لما يكون سعيه جيد يرضى عن نفسه، وهذا شعور جيد جداً وحينما يختال يسقط من عين نفسه، فقد تكون في عين الناس كبيراً وأنت في عينك صغيراً، قال تعالى:

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (15) ﴾

[سورة القيامة]

ثم قال تعالى:

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) ﴾

[سورة الغاشية]

الإنسان أحياناً كي يبرد يتحمل صوت مزعج من المكيف، فإذا ألغى الصوت شعر بالحر، ففي الجنة لا تسمع فيها لاغية ؛ هُدوء.

ثم قال تعالى:

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15)
وَزَّرَابِيٌّ مَبْنُوثَةٌ (16) ﴾

[سورة الغاشية]

النمارق وسائد، والزرابي البسط الفاخرة، مصيرنا جميعاً إما إلى هؤلاء، إما إلى هؤلاء، والدنيا فيها خيارات كثيرة، قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾ (2)

[سورة الملك]

أما عند الموت هناك خيارين ! إلا أنه بالدنيا هناك من دخله ألف، وألفين وثلاثة وأربعة إلى مائة ألف، وهناك من دخله مليون باليوم، وهناك مائة مليون ! الفارق في الدنيا كبير، أما عند الموت فكل هؤلاء إما إلى النعيم وإما إلى الجحيم، لذلك قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾ (2)

[سورة الملك]

فالطريق إلى الجنة أن تعبد الله، والطريق إلى طاعته، فهو كما قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) ﴾

[سورة الغاشية]

أي أن تعرف الله من خلال خلقه، وإن شاء اله تعالى غداً نتحدث عن هذه الآيات الثلاث:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) ﴾

[سورة الغاشية]

من أكبر الآيات الدالة على عظمة الله تعالى الإبل.